

مسرحية حنبعل (١)

بقلم - م - ع - م - عضو نادي القلم

يعتبر الاستاذ احمد توفيق المدني من خير رجال المغرب العربي من حيث وطنيته وعصاميته وعمله الانشائي المتواصل . فهو مندطفولته الى ما بعد كهولته في نشاط وعمل وانتاج وكانت وفرة انتاجه الادبي والعلمي عسطة اكبار واعظام وكان محل امتياز ملحوظ من سائر مواطنيه بالطريق التونسي والحزائري الذين ران عليهم الخمول والركود في ميدان التأليف والنشر في عصورنا الاخيرة اما الاستاذ المدني فانه منذ ان اصدر توقيمه المنصور لا يزال ينتج ويؤلف وان من يسرد قائمته تالفه ليكبر فيما هذا المنهج المتواصل وهذا ما يدقح بنسادي القلم الى اعلان شكره وحده لهذا العصامي المخلص .

وكان اخر ما ظهر من انتاج الاستاذ المدني هو مسرحية « حنبعل » والاسم الذي تحملها الرواية يذكرنا بالانجاء الحميم الذي سلمنا حضرة المؤلف في تخصيص جهوده واعماله التاريخية فيما له اتصال بالمغرب العربي فقد كانت فيما نعلم جميع مؤلفاته تخص المغرب العربي وما اتصل به كفعله في كتابه « المسلمون في جنوب ايطاليا وجزيرة صقلية » فقد كانت وطنيته الصادقة تملي عليه هذا الانجاء او نوحى اليه بهذا المسلك ولهذا لم يكن بدعا من العمل ان يبرز هذا المؤلف الجديد مسائرا لخطا المؤلف المرسيمة انما الجديد فيه هو الكيفية التي ابرز عليها هذا التأليف واعني بذلك الاسلوب المسرحي التمثيلي فهل افلح الاستاذ المؤلف في نمطه الجديد كما افلح في نمطه السابق ؟

ص - ١٦

اما في مشكلة العالم العربي المعاصر والسلطان الذي ارغم الجسم العربي على قبولها اعني مسألة فلسطين والوطن اليهودي فان حنبعل اعلان كلمته الحاسمة وحذر العالم العربي من هذا الخطر الجسيم فاستمع اليه بخاطب الملك انطيوخس صاحب سوريا اذ ذلك لكن لا تنسوا يا مولاي ان خطرا هائلا يترقبكم من جهة الجنوب فاليهود هنالك يترصون بكم الدوائر وانهم لاصحاب مطامع ليس لها حد . قارسلوا بفرقة القائد عصام التي تحرس بلاد الشام لنضرب اوتادها بارض يهوذا واعلموا انه لاراحة لبلاد الشام وبلاد العرب

معا الا متى وقع النخاس من مملكة يهوذا التي تقف حجرة عثرة في الطريق وتفصل البلاد

شطرين ص - ٣٢

او ليس في هذين النصين ما قلنا لك سابقا من ان حنبعل قد بحث من جديد لبلمب الحماس وينير الحمية في العالم العربي ؟ اوليس هذا هو عين ما يفكر فيه الاستاذ المدني ويدعو اليه ويجاهد من سبيله ان مواقف المؤلف في قضايا المغرب العربي وقضية فلسطين هي نفس ما قاله حنبعل البطل المعبوث من جديد

هكذا شاء الاستاذ المدني ان يختار اسلوبا اخر لبث ارائه واكفاره في الشباب المغربي حتي يزداد ايماننا ونوقا برسائله وجهاده في اسلوب اكثر تاثيرا واعظم افعالا واشد انطبعا من خطاب في مجمع او مقال في صحيفة

فالاسلوب المسرحي التمثيلي اسلوب حي متحرك يجلب الاحاسيس ويستولي على المشاعر اكثر من الاسلوب الاخر

في قرب والاشك في افكاره للكلام الامام عظمة قرب الشك هي عليه

تدور حوادث هذه المسرحية حول محور واحد هو شخصية حنبعل . وحنبعل من اعظم قواد التاريخ والمعها شخصية نظرا لما اكتسبها هذا البطل العالمي من شهرة ولما عنده من مهارة واقدام واحكام خطة ولما كان يضيفها على جيشه من الطاعة والالتقياد والاخلاص ثم لقارعتي وصراعي مع اعظم امير اطوريته في التاريخ القديم اي الامبراطورية الرومانية وكذلك ايضا للاحداث والظروف والمعاكسات التي صاحبت هذا البطل الجريء وانتهت حياته بخارا وانتحارا وكان ينطبق عليه ما يقولون البطل كالزهرة اما على الصدر واما على القبر

ولكن الاستاذ المدني لم يتخذ من جسم ادوار حنبعل الا دورة الاخير ملمعا لبعض ادواره الاخرى تلميحها خاطفا او غير ملمح بها

والاستاذ المدني مقصد واضح في اختياره الادوار الاخرى من حياة حنبعل لانها تمثل فكرة المجاهد الصادق الذي لم يؤثر عليه احتلال الاجنبي لبلاده والذي لا ينفك الامل في اسر جاع المجد الوطني عنه طرفة عين فبقيت معه ماله وعزيمته الى ان ادركها الموت بعيدا عن الوطن وفي عدائه المستمر للغاصب الاجنبي والدور الاخير من حياة حنبعل يجعل

القاريء العربي له في موقف العظة والاعتبار بل يجعل من حنبعل ناصحا للعرب المعاصرين في الشرق والغرب يدعوهم الى العمل وينفخ فيهم من روح الحمية والنهوض ويحثهم من سوء العاقبة ان هم اسكنوا ووهنوا مما نجعل القاريء يتصور حنبعل يعيش في عصرنا الحاضر ويوجه الامة العربية الى المنهج الحكيم في مشرقها وغربها امام مشكلاتها الحاضرة المعاصرة فهو في المغرب العربي يقول خطبا للقائد البربري مازيغ « لكن الانتقام يا مازيغ ! هل فكرت وهل فكرت قومك في الانتقام ؟ قال مثنى نصيب على اهلنا الضالمين ؟ الى متى نخضع لصوص معاهدة امليت علينا املاء قضرب علينا الذل والمسكنة ؟ متى

فالاغلوب المسرحي التمثيلي اسلوب حي متحرك يجعل الاحاسيس ويستولي على المشاعر اكثر من الاساليب الاخرى وهذا ما دقم بالاستاذ المدني الى ان يقدم هذه الصرخة للصدائيت في شكلها الحي المتحرك (الى الشباب المغربي حامل راية الكفاح في سبيل حرية الامة وشرف الوطن) هذه هي ملاحظتنا المدجبة في مسرحية حنبعل من حيث روحها وكنيتها ومن حيث جوهرها واصلا وملاحظتنا المدجبة مشفوعة بالاكبار والتقدير والشكر والاجلال وهناك بعض المآخذ اخذناها على الاستاذ المؤلف سنفردها فصلا اخر ان شاء الله وهي ماخذ مهمما بلغ مقدارها قانها لم تصل الى الخط من قيمة هذه المسرحية الممتازة والتي نهجت كامل الشباب المغربي على قراءتها والانتفاع منها والاعتناؤها (يتيم)

عند ما يبكي العظماء ..

* اجمع المؤرخون على ان الملكة اليباب كانت مشهورة بالتحكم في عواطفها وعدم اطلاق العنان لاجزائها حتى لقد قيل ان شيئا لم يؤثر في حياتها قط الا عند ما باغها خبر وفاة صديقها الايرل اوف لسر قلم تقو على الصبر والتجملد وطرحت نفسها على الارض واخذت تبكي كالاطفال

* وكان هنري الرابع ملك فرنسا لا يتملك نفسه من البكاء كلما سمع خيرا يؤثر في اعصابه فاشتهر بذلك وضرب به المثل في كثرة البكاء

* ويقال انه لما حكم على نابليون بالنفي للمرة الاولى في جزيرة « البسا » استعرض جنوده مودعا اياهم فغرورت عيناه بالدموع وهو يحاط بهم

* ويروي عن الدوق وانجتون انه لما دخل عليه الدكتور هوم لينلو عليه اسماء القتلى والجرحي في معركة وانسراوا استقبليها القائد بالترحيب وطلب اليها ان يلوها عليه ففعل وكانت الاسماء كثيرة حتى ظل الطبيب يقرأها نحو ساعة كاملة ثم انفت الى الدوق فالفى دموعه تنساب في غزارة

* وعند ما سال مجلس الاعيان في انجلترا اللورد باكون هل امضى اقرارا بتدني بيده اجاب قائلا : نعم ايها السادة ان العمل عملي وقد وقعته بيدي وانا راض واني اطلب منكم ان تعاملوني بالرفقة وهنا انهمرت الدموع من عينيه فتغلبت عبراتها على صوتها ولم يقو على الكلام ا فضل